

انهن سيقتنين الغالي كما كانت تفعل ملكة الانكيز فانهن يخففن عن اخواتهن
الفقيرات والمتوسطات اللواتي يتطلعن اليهن ليقندين بهن ونحن نعتقد انه
مضى تم ذلك بين انشاء المسيحيات فانه يتم دون ريب بين المسلمات وبهذا
يحسن تحرير المرأة من كل عادة وتقليد ولا تكون قد خرجت من عادة
لتقع في اشأم منها



المرأة الشقية

اي عقل ساهم لا يتبلبل اذ يتأمل في هذه الكلمة السهلة اللفظ الصغيرة
التركيب وهو يرى طيها ميدان الفساد الفسيع لابل ذنبا الفساد والشر
وعالم الدعارة والعمارة واي قلب يحليه الادب لا يتقطع وهو يرى ان في هذه
الكلمة السيف القاطع المرفف الاخذ في استئصال اصول الاخلاق السليمة
في العالم والنار الآكلة الملتهممة القائمة على احراق جذور الادب والداء المضال
القتال العامل على القتل بالنفوس والاجسام

اما نحن وان كان يوجعنا ايقاف الفكر زمانا على هذه الكلمة وما تتضمنه
ويحزننا جعلها موضوعا لقراءة الافكار السليمة وتأملها لا يخلو من بعض
السمجة يؤثر في القلوب الطاهرة النقية فمع ذلك لا نرى من بد وقد اخذنا
اجابة لصوت الحق في الفحص عن فظائع المدنية الاوربية ونتائج مغالاة
تحرير المرأة الا التكلم بهذه الموضوع ولو بطريق الاجاز

فاول شيء يراه الفكر المتأمل في كلمة مومس امرأة فاقدة الشرف
معرة عن الادب متشردة خليعة بأثمة مطلقة الحرية ليس لها اب يحكم عليها
فيؤدبها ولا ام تربيتها وتقوم اعوجاجها ولا زوج يأمرها فتطيعه ويصون
عرضها وطهارة ذيلها فخلو الشرف من المرأة ليس هو دائما كافيا لان يصيرها
مومسا بل مغالاة الحرية المعطاة لها هي التي توصلها الى هذه الحال. واذا قال
قائل ان المومسات قديمات كالعالم وقد كن في زمن لم يكن لهن فيه من الحرية
من شيء فنسأله ان يمهنا ريثما نتكلم عن المرأة المستعبدة وهناك نعطيها جوابا
على قوله اذ نحن في موضوعنا هذا ذاهبون الى نقض دعائم العبودية
والاستعباد للمرأة

فومس الحرية التي هي موضوع كلامنا الان هي اما خارجة عن زوج
ليس له سلطة عليها فيوقفها عن جماعها واما عن والدين قد خرجت عن
ادارتها ولم يعد لهما حق مدني عليها واما برضى هذا الزوج او بتسليم ذاك
الاب او باغراء هذه الام وهنا الموضوع الذي تقشعر منه الابدان وتشور
ضد الطبيعة

اما المرأة الخارجة عن زوج فقد صارت شقية اما لعدم اتفاقها مع الزوج
واما لحياتها هذا الزوج

اما عدم اتفاقها معه فلسلو كها وايام مسلكا مضادا لنصوص شرائع الدين
والطبيعة فأمرت على حين انها مخلوقة لتطيع وخضع على حين انه موجود
ليسود وليس من ينكر ان تغيير النظام في الطبيعة يولد الخراب كما ان انفصال
عضو في الجسم عن موضعه الاصلي يقلل من سلامة الجسم وراحته وسقوط
مادة من قانون شركة يبعث الى الانشقاق ثم ان المرأة ضعيفة واما الرجل

فقوي وهي مدركة وهو أكثر ادراكاً ومن طبع القوي المدرك استصعاب الخضوع والانقياد للضعيف المدرك فضلاً عن أن في المرأة أخلاقاً تميل غالباً دون سبب إلى مضادة الرجل وحرمانه من الأمور القائمة عليها راحته إذا نساء على ما قال تارانس الشاعر والفيلسوف الروماني الطبيعي يردن عند ما لا يريدون لا يردن عند ما يريدون. وقد حكم هذا الفيلسوف على أخلاق المرأة في حين لم يكن لها فيه شيء من السيادة ومع ذلك فقد عرف لدى الفحص أن هذه الأخلاق المنطوية منها المرأة لا تخلو من مضادة وتكدير للرجل فكم يكون تأثيرها فيه حال سلطتها عليه

ومن الأمور غير المنكرة ضرورة السلطة ووجوب الطاعة لحفظ الاتفاق بين قلبين مهما بعدت أو اقتربت حالة ارتباطهما كما أن هذه الطاعة وتلك السلطة هما ضروريتان لحفظ الممالك ونشر السلام. وقد قال شيشرون الفيلسوف في كتابه المسمى «الصدقة» أن المتصادقين ربما يحافظان على صداقتهما بمراعاة الاحساسات ولكن هذه الصداقة لا تدوم وإذا دامت فلا يكون تأثيرها عظيماً كما لو جعل الضعيف منها ادراكاً سنة لنفسه يوقربها وبالتالي يطعم بها صديقه وبهذه الطاعة تنجلي الصداقة أكثر وثبت أكثر وتدوم أكثر وتكون منافعها أكثر. فالطاعة واجبة إذا لحفظ الائتلاف بين قلبين وقد عرف الله ذلك إذا وجد الإنسان ذكراً وأنثى فقلد قلب الذكر السلطة على قلب الأنثى «تخضعين لرجلك» ونسنا نسلم بما قاله هاملت الكثير الكره لجنس النساء إذ ذهب إلى أن خلق قلب المرأة بعد خلق قلب الرجل ليس هو الا لتكملة بنائية الإنسان بدوارة (دولاب الهواء) بل لنجل النساء عن مثل هذا المذهب ونعتقد أن وجودهن تكملة جوهرية لوجود الإنسان

ولكننا ننكر على قلب المرأة الحق في إدارة قلب الرجل بل نوجب عليه الخضوع بطاعة ضرورية كثيرة المنافع لقيام الإنسانية. ولنا شاهد على منافع الطاعة وقوتها لحفظ الوئام الجمعيات الكثيرة التي تأسست في أوروبا وغيرها على أسس الطاعة القويم فثبتت أعواماً وأجيالاً ولم تزل ولن تزال ثابتة كصخر لا ترعزعه العواصف فنشأت وكبرت وامتدت أعضاؤها في العالم رغماً عن اضطهادات ومصاعب عديدة طرأت عليها ونرى الجماعة منها تتألف بعض الأحيان من مئات الألوف من الأعضاء يديرها رجل واحد يكفي لأن يفوه بكلمة حتى تطمئن الرؤوس لأمره اجلاً وتقوم الألوف منفذة لحكمه خاضعة لكلماته فلو نزعنا الطاعة من هذه الجماعات لرأينا نثار الانشقاق والاختلاف قام فيها وآفة الخراب والدمار استولت عليها. وهكذا قل في شركة الرجل والمرأة التي لا تأمن من الخراب ما لم تؤيدها طاعة وتديرها سيادة وعلى هذه السيادة والطاعة قام قائم الاختلاف بين الدين والطبيعة وبين المدنية. فالدين والطبيعة أوجبا طاعة المرأة والمدنية أوجبت سيادتها فسيادة المرأة إذن هي مخالفة للطبيعة فالمدنية الحاكمة بها هي إذن فاسدة وليست بمدنية صحيحة لأنها مخالفة للطبيعة وما شذ عن حكم الطبيعة فهو خارج عن التمدن الحقيقي. حكمت مدنية أوروبا بهذا فسادت المرأة ورضي الرجل بهذه السيادة وما طال الأمر حتى ثقلت عليه سيادة من هي أخط منه قوة وادراكاً فرأى من جهة ذله ورأى من أخرى تقلب مسديرة ثم فحص قواه فأراها قادرة على استرجاع حق حكمت له به الطبيعة وسلبته منه المدنية والحرية فقام يطالب بحقوقه فلم تسلم له المرأة بها واستصعبت الرجوع عما عودتها إياه الحرية فثار نثار الاختلاف بين الزوج والزوجة ودب

الانشقاق بينهما فاهان الرجل امرأته وتعصت المرأة على رجلها وسرى النفور في قلبيهما فانفصل الرجل عن امرأته ونقضت المرأة عهدهما مع رجلها ففتشت عن سبيل تكون فيه غير مقيدة فعرضت ذاتها لرغائب الكثيرين الخارجين وسلمت اليهم عرضها اذ رأت فيه قيام معاشها وارضاء اميالها وحرية نفسها وبلغت بهذا مبلغ الفساد القطيع واصبحت بعد ان كانت مقيدة برجل وهي بأثمة عمومية واسنا زيدا شيئاً على ماذ كراهه في الفضيحة الاولى فقد اوضحنا كيف ان الحرية سهلت للمرأة الساقطة الطبع خيانة زوجها وسببت للمرأة الشريفة القلب اصلا الوصول الى هذه الفضيحة ولكننا نبين الان كيف ان هذه الخيانة توصل المرأة احياناً الى منتهى الشقاء

فالرجل مهما قل شرفه وذات نفسه لا يتحمل من امرأته خيانة العرض وقد عذرت الشريعة المدنية جريمة القتل اذا اقترفت اثر عمل كهذا وكانت الخيانة من جملة الاسباب المجوزة الطلاق المدني والهجر الديني وعظم فضيحة الخيانة وسبب ثقلها على قلب الرجل يظهر انه بنوع خاص من النتائج التي لا يبعد حصولها في الخيانة والتي بها يتأيد ثبات القران في الانسانية اذ ان القران في الطبيعة منه ما يكون ثابتاً ومنه ما يكون غير ثابت فانقران غير الثابت هو الذي يكون في بعض الحيوانات التي مولودها لا يحتاج الى المعاونة المتبادلة لكي يعيش بل يكفي اهتمام الام به لكي ينشأ ويصير قادراً على حفظ حياته والقران الثابت هو الذي يكون في بعض الحيوانات كالحيتان وبالحصوص في الانسانية التي مولودها يحتاج الى تربية الام واعالة الاب فالام لا تقدر وحدها على تربية هذا المولود فاذا كانت تقضيه من لبنها وتحافظ على حياته باهتمامها به فهي وهو يحتاجان الى الرجل ليدافع عنهما ويمولهما ولما كانت هذه

الاعالة وهذا الدفاع يكلفان على الغالب الرجل تحمل اكبر المتاعب واعظمها ويوجبان عليه بذل المستطاع لاجل القيام بهما لزم هذا الرجل ان يتحقق مصدر هذا المولود وهل اذا كان من جوهره كي لا يفشل باهتمامه به ولا يبرز في جانب القيام بتربيته النفس والنفيس فقران الرجل بالمرأة يلزم ان يكون ثابتاً وثباته يقوم بصيانة المرأة لارضائها واما عدم ذلك فصاعقة تقوض دعائم القران وسيف يقطع عقد الزوجين اذ تفتح عندئذ امام الرجل ابواب الشك في مصدر المولود فتضطرب راحته وتبطل انكاره ويقل اعتناؤه ببنيه ويستعظم اتعاباً ومشاق وحقوقاً ربما يتمتع بها من ليس منه بل ينزع من قلبه ثقته بامرأته ويرى فيها اكبر عدو له فيثور ضدها ويقوى عليها ويحميها من المضادات والاهانات شيئاً عظيماً فتستعصب الحياة معه وتكره النظر اليها فيبتدي الانشقاق وينتهي بالانفصال فيقود الانفصال المرأة غالباً الى منتهى الشقاء وهنا المال الذي ترتمى منه الفرائص فتصبح المرأة التي كانت اعدتها الطبيعة لتكون امّاً لبنين يزينون صدر الانسانية وهي امرأة بأثمة تقتل بهارتها شرف البنين الذين جاءت بهم في زمن قرانها وتعدم حياة الذين كانت تستطيع ولادتهم لو حافظت على واجبات هذا القران فتدبل زهور عقابها وتعمم عما يعمر به الكون وتشتت الانسانية وسأوفي هذا البحث حقه فيما بعد ان شاء الله

حبيب المعوشي

احد تلامذة كلية باريس سابقاً